جمهورية مصر العربية	١٠ من ذي الحجة ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف	١ من سبتمبر ٢٠١٧م

(١)

خطبة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٨ هـ

الحمد لله رب العالمين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هديه ، واتبع نهجه إلى يومِ الدين ، **وبعد** :

فإنَّ الأعيادَ في الإسلام أيام خير وبركة ، وبرٍّ وإحسان ، وهي من أيام الله (عز وجل) التي ترتبط بأداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، فبعد ركن الصيام يأتي عيد الفطر ، وبعد ركن الحج يأتي عيد الأضحى ، فهي مناسبات إيمانية ، بها تفرح النفوس ، وتبتهج الأفئدة ، وتنشرح لها الصدور ، وتستحضر العقول ما مضى من أحداث كي نتخذ منها العظة والعبرة ؛ لنصلح بها أحوالنا ، ونجدد بها حياتنا ، ونغير بها واقعنا إلى أحسن ، يقول سبحانه: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

وهذا يوم عيدنا الأكبر ، عيد التضحية والبذل والعطاء في سبيل مرضاة الله (عزّ وجلّ) ، فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) في خطابه الحاني مع أبيه يقول ناصحًا متأدبًا :{ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا *يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ

الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}، ثم يبلغ حسن التأدب والرفق مع الأب غايته حين يقول له:{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}لم يرمه بكفر ، بل قال: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ } مجرد مسّ ، وفي هذه الكلمة من الرفق ما فيها ، ثم إن المقام مقام عذاب ، ومع ذلك لم يقل: عذاب من الجبَّار ، وإنما أتى باسم من أسماء الله تعالى فيه رحمة ، في صورة اكتمل فيها الأدب مع أسمى مكارم الأخلاق.

كذلك في رده (عليه السلام) على تهديد أبيه له ، لم يزد على قوله: { سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}.

وفي هذا الموقف والحوار بين الخليل (عليه السلام) وأبيه دعوة لجميع الأبناء إلى ضرورة مراعاة المشاعر الإنسانية مع الآباء وإن اختلفت الأفكار وتباينت وجهات النظر ، حتى لو كان الوالد كافرًا ، أو حاول أن يحمل ابنه على الكفر ، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم وبينه في قوله تعالى: { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}.

إن مراعاة الجوانب الإنسانية هي مفتاح شخصية الخليل (عليه السلام) في كل مواقفه وحواراته ، حتى في دعائه حين قال: { فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، فلم يقل: ومن لم يتبعني ، حتى لا يشمل الحكم من بلغته دعوته (عليه السلام) ومن لم تبلغه هذه الدعوة ، أما حين قال : {ومن عصاني } فقد اقتصر الأمر على من بلغته الدعوة وعصى ، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده ، ودليل على

سعة رحمة الإسلام حيث يقول سبحانه :{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}، ويقول (عز وجل) : {وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ} .

وسنة الله تعالى في الخلق أن يكون الجزاء من جنس العمل ، فكما كان الخليل إبراهيم (عليه السلام) أنموذجًا طيبًا للأدب والبر مع أبيه ، فقد رزقه الله (عز وجل) بولد سارَ على درب أبيه في البر وحسن التأدب ، وكمال الطاعة والانقياد لأوامر الله (عز وجل) والتضحية والفداء ، وهو سيدنا إسماعيل (عليه السلام) ، فكل منهما ـ إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ـ يمثل في موقعه علامة بارزة للطاعة والتضحية ، مع شدة البلاء وتنوعه، فإسماعيل كان بِكرَ أبيه ووحيده في ذلك الوقت، امتنَّ الله تعالى به على إبراهيم (عليه السلام) بعد ذهاب القوة ومضي الشباب {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}، فأطاع الابن أباه فيما لا يطيع فيه أحدٌ أحدًا في الذبح وإنهاء الحياة كلها ، قال تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

إنَّ التكليف بهذه التضحية الكبيرة كان عن طريق الرؤيا ، والإخبار بها وتنفيذها من الوالد لولده وجهًا لوجه:{قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}، وقد رغب الوالد أن يشاركه ابنه في الجـزاء الأوفى لتمام الخضوع لأمره تعالى :{فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى}، فكان نعـم الولد طاعةً وانقيادًا،{قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

ولأن الفرج ملازمٌ للشدة ، والمحنة تأتي بعدها المنحة ، فقد جاءتْ عطاءات الله (عز وجل) متتابعة ، بعد أن أظهرا لله ما في قلبيهما من الاستسلام لأمره تعالى

دون تخاذل، أو تردد ، أو تباطؤ ، قال تعالى :{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}، فكانت الشهادة الربانية للبلاء بالشدة الظاهرة ، ولهما بالإحسان وحسن المراقبة ، وكان الفداء من الله (عز وجل) لإسماعيل بذبح عظيم ، وقد أبقى الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام) الذِّكرَ الحسن، والثناءَ الجميل إجابةً لدعوته ،{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}.

إن الدرس الأعظم في قصة سيدنا إسماعيل (عليه السلام) هو منتهى الامتثال والاستسلام الكامل والانقياد التام لأمر الله تعالى ، امتثال يجعل حرص المسلم على أمر الله تعالى وطاعته أشد من حرصه على نفسه وولده والدنيا وما فيها ، يقول الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِينًا}.

وعيد الأضحى هو إحياء لسنة سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وإحياءٌ للسنة المحمدية بالتقرب إلى الله تعالى بشعيرة الأضحية ، مع إخلاص النية فيها وفي سائر أعمالنا لله (عز وجل) ، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}، والأضحية قربة وعبادة يُؤجر عليها صاحبها الأجر العظيم ، وشعيرةٌ من شعائر الله واجبٌ تعظيمها ،كما قال تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، وهي ذبيحة توسِّعُ بها على نفسك وأهلك ومجتمعك ، وسنة من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينبغي الالتزام بها ، وإحياؤها بالعمل بها.

على أن المقصود من الأضحية ليس اللحم والدم ، ولكن التقوى المُسْتَقرة في القلب ، التقوى التي يريد الله تعالى أن يربي العباد عليها من خلال العبادات التي شرعها لهم ، فهي التي تدفعهم إلى كل خير ، وتمنعهم عن كل شر ، وتأخذهم إلى تحري مرضاة الله تعالى ، يقول سبحانه:{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}.

وينبغي أن نجعل من ذبح الأضحية مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام ورقيه وحضارته ، فلا ينبغي الذبح في مداخل العمارات ، والبيوت ، وفي الشوارع ، والأزقة وأمام المساجد والمستشفيات ، مما ينتج عنه مظاهر غير صحية وغير حضارية ، وقد حرم الإسلام الضرر ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ)، كما أمرنا بتطهير الطرقات وإبعاد الأذى عنها ، وعدَّ ذلك من شعب الإيمان ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

هذا يوم ينبغي أن يكون رحمة كله ، وخيرًا كله ، لأنه أعظم الأيام ، كما أخبرنا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فقال: (إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

يَوْمُ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ – يعني اليوم الذي يليه–).

وإذا كان الإسلام الحنيف جعل لنا في هذه الأيام مساحةً من السعة والترويح المباح عن النفس ، نجمّل بها أعيادنا ، ونزين بها أوقاتنا ، ونتغلب بها على تحدياتنا ، ونُسري بها عن نفوسنا ، فلا يَعني هذا أن نتحلل من الأخلاق ، أو القيم ، أو الآداب السوية ، بل لا بُدَّ فيه من الانضباط بالضوابط الشرعيَّة والآداب المرعية ، فديننا دين الوسطية والاعتدال في كل الأمور ، لا إفراطٍ ولا تفريط، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ: (مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟) قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ) .

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رضي الله عنه) دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَهَا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحًى، وَعِنْدَهَا قَيْنَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاذَفَتْ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ ؟ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا اليَوْمُ) ؛ ذلك ليعلم الناس أن في ديننا فسحة نباهي بها العالم أجمع ، وأنَّ إسلامنا العظيم يجمع بين الدين والدنيا، بين حقوق الروح ومطالب البدن ، بين الطيبات من الرزق وعمل الصالحات من تكبير ، وصلاة ، وكثرة ذكر الله تعالى ، وذبح الأضاحي ، وإعانة ذوي الحاجات والكربات.

وواجب المسلم في هذا اليوم مراعاة الآداب والضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية للاحتفال بالعيد ، ومراعاة حرمات الله تعالى، فلا يجوز أن يكون يوم العيد

يوم حزن أو همٍّ بالبكاء والندب على الراحلين ، وإنما يكون يوم بهجة وسرور ، يوم التزاور والتراحم ، وإظهار الفرح والسرور والبشاشة في وجه كل من يلقاه من الناس.

وفي العيد يجب ألا ينسى المسلم قيمة التكافل فيرحم القويُّ الضعيف ، ويعطف الغنيُّ على الفقير ، ويعطي القادرُ ذا الحاجة ، فالإسلام يحرص على بناءِ مجتمعٍ أخلاقيٍّ متقاربٍ ومتحابٍّ ومتعاونٍ على الخير وفعل المعروف.

وفرحة العيد وبهجته لن تكتمل إلا بالتكاتف والتعاون والتواصل ونبذ الفرقة، والتسامح والعفو ، وشعور جميع أفراد الأمة بهذه الصلات التي تجمع بينهم داخل المجتمع الواحد ، هكذا تكتمل فرحتنا بالعيد ، وهكذا يكون شكرنا لله سبحانه على ما تفضل به علينا من نعم ومنن ، قال تعالى:{فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}، وذلك كله بغرض الوصول إلى المجتمع المتحاب المتماسك الذي شبهه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه كالجسد الواحد، في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

سلامٌ من الله تعالى على تلك الأسرة الطاهرة المطهرة ، الوالد القانت الحليم الأواه المنيب ، والأم المؤمنة الموقنة المتوكلة ، والولد البار الصابر المحتسب ، وسلام على سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلى عباد الله الصالحين.

اللهم هب لنا من الخيرات والبركات ما تفرج به كروبنا ، وتسعد به قلوبنا ، وتيسر به طريقنا ، واحفظ اللهم مصر وأهلها من كل مكروه وسوء ،{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

تقبل الله طاعتكم ، وغفر لي ولكم.